دور الأدباء العالميين في التقارب الحضاري وحوار الثقافات الروائي باولو كويلو أنموذجا

أ.محمد بكادي/ المركز الجامعي بتامنغست
mohamedbakadi@gmail.com

ملخص:

[الأدب من أهم القنوات التي من شانها مد جسور التقارب الحضاري والثقافي، بوصفه لا تعترف بالزمكانية، ولا يعرف الحدود الجغرافية ولا الأيديولوجية؛ فهو يؤمن للبشر بمختلف توجهاتهم وإيديولوجياتهم التواصل الفكري الحر، الذي سيؤمن بدوره ـ إن استغل استغلالا ايجابيا ـ التقارب الحضاري و الثقافي بين الشعوب.

ويسعى هذا المقال إلى بيان الدور المهم الذي يلعبه الأديب عامة، والأديب العالمي خاصة في مجال التقارب الحضاري وحوار الثقافات لكونه يمثل همزة الوصل بين مختلف توجهات الفكر العالمي، ويتخذ من الكاتب الروائي العالمي (باولو كويلو)، أنموذجا، بوصفه من أهم الكتاب العالميين الذين ساهمت أعمالهم مساهمة كبيرة جدا في مجال التقارب الحضاري وحوار الثقافات.]

1ـ مقدمة

لقد مرت العصور الإنسانية السابقة بعدة علاقات تطبع الشعوب فيما بينها، وسواء كانت هذه العلاقة إيجابية كالوئام والتلاقي، أو كانت سلبية كالكراهية والتنافر، فهي علاقات لم تخرج في مجملها عن الطبيعة البشرية التي تحكم بالعواطف البشرية انطلاقا من الفعل ورد الفعل؛ وبتطور الحضارات الإنسانية المتعاقبة بدأت بعض المفاهيم والأفكار التي كانت نتاجا للعديد من الوقائع التي حدثت بين بني البشر تتراكم ، سواء منها ما تعلق بالتعايش السلمي، أو ما تعلق منها بالحروب التي دمرت وفتكت بالكثير، فأصبح هناك إدراك تام بعد الاستقراءات المتعددة للأحداث والعلاقات التاريخية بين الشعوب، بأن العلاقات بين الأمم لا تقوم في أساسها إلا على مبدأين لا ثالث لهما، إما التلاحم والتلاقي والتفاهم، وإما التنافر والتخاصم والتطاحن، وكلما زاد مستوى التعامل بين الشعوب صار احد هاتين العلاقتين ضروري الحدوث.

والأكيد أن الوسائل التكنولوجية الحديثة، وبالوسائط الاتصالية المتطورة بين الشعوب جعلت جميع أمم العالم ـ إن صح هذا التعبير ـ يقطنون وطنا واحدا وهو العالم، وهو ما يؤدي إلى إجبارية التعامل فيما بينها، حيث لم يعد التعامل بين الأمم يخضع للرغبة، أو لم يعد شعب من الشعوب يتعامل مع الأمة التي تتفق مع توجهاته سواء الأيديولوجية أو الدينية أو العرقية، ويأبى التعامل مع أمة الأخرى لأنها تختلف معه في هذه التوجهات، لأن ذلك بات من الماضي في ظل ما يسمى الآن بالعولمة، وهي التي تفرض ضرورة التعامل مع كل شعوب العالم دون استثناء، ومن هنا وبالنظر إلى هذا المعطى الجديد والحديث أصبح التعامل بأحد المبدأين اللذين سبق ذكرهما أمرا لا مفر منه .

ولما كان المبدأ الثاني، الذي يقوم على كراهية الآخر، والذي هو مبني أساسا على ثقافة التنافر والتطاحن، أمرا قد جربته البشرية وعانت من ويلاته كثيرا، وأدركت أنه طريق لا منتصر فيه، فإن المبدأ الأول القائم على ثقافة التسامح والحوار وقبول الآخر أصبح أكثر ضرورة وربما كان هو الملاذ الوحيد لاستمرار البشرية في ظل الوجود المكثف للأسلحة الفتاكة التي أنتجها البشر نتيجة لثقافة التطاحن والمواجهة وكره الآخر، وهي القادرة على تدمير الكرة الأرضية كلها عشر مرات.

وعلى هذا الأساس نجد أنفسنا أمام تساؤلات جمة تتعلق بسير العلاقات الفكرية المختلفة، ومدى عمقها، وكيفية التقليل من آثارها السلبية، إذا كان من غير الممكن صهرها في ثقافة واحدة؟ [1]

و لأن المشكلة هي فلسفية فكرية ثقافية،[2] فالحل بطبيعة الحال لا يكون إلا فلسفيا فكريا ثقافيا، و لأن أهم أقطاب الفكر والثقافة هم الأدباء والفنانون، وما يمكن أن ينجزوه لا تستطيع أعتى القوات العسكرية في الكون أن تنجزه، فقد أردنا تسلط الضوء على هذا الدور الذي يلعبه الأدب عامة، والأدباء العالميين خاصة في نشر ثقافة التسامح وحوار ثقافات الأمم المختلفة وزرع الحب بين بني البشر باعتبار أن كلهم لآدم و آدم من تراب.

1 ـ مفهوم التقارب و حوار الحضارات و الثقافات و ضوابطه

إن مصطلح الحوار يشير في أبعد معانيه إلى ذلك التفاعل والتثاقف الإيجابي بين الحضارات الإنسانية " وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف، ويكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة.

وعليه فإن الحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الثقافي أو السياسي، وإنما لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجدداً "[3].

أما الحضارة والثقافة فلكل منهما مفهوم خاص، فالثقافة تعني في بعض مفاهيمها جملة العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بالمجموعات البشرية التي تمتاز بسمات مستقرة، و في مفهوم آخر هي :" مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ضرورات وجوده الطبيعي بما تحمله من عادات ومعتقدات"[4]. في حين أن الحضارة هي مجموعة من المفاهيم التي توجد عند مجموعة من الناس و التي تشتمل على مجموعة من التقاليد و المثل والأفكار والنظم والقوانين، وفي تعريف أشمل " فالحضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية"[5].و هنا نحن لا نقصد بها تلك الحضارة الموجهة التي تفرض فرضا [6] وإنما هي الحضارة التي ينتجها كل شعب وفق مقوماته الثقافية والحضارية.

والتقارب الحضاري والثقافي هو تقارب مطلوب، ولكن رغم ذلك فلا بد له من معايير وضوابط حتى لا يستعمل استعمالا سيئا أو يستعمل في غير وجهه الصحيح، وعلى ذلك فان أهم شروط هذا الحوار تتمثل في الاعتراف بالآخر ونبذ ما يصطلح عليه بالتعـالي القومي أو الإيديولوجي، كما ينبغي أن يحترم الخصوصيات الثقافية للشعوب بحيث يبنى على قاعدة المعرفة والتّعارف والاعتراف، وأن يكون منطلقه في معرفة ما عند غيره معرفة جيّدة ، فيكون هذا التعارف هو ذلك الذي يزيل أسباب الخلافات ويبعد قدر الإمكان مظـاهر النزاعات والصّراعات. وأن يكون الاعتراف هو ذاك الذي يثمّن ما عند الآخر، ويقدّر ما يمتلكه.

ومن أهم الضوابط التي يشترط أن تتوفر لنجاح هذا الحوار أيضا هو الالتزام بتعددية المرجعية الحضارية، لأن أحادية الحضارة تعني بالضرورة إلغاء الحضارات الأخرى، وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى عكس النتائج أو الأهداف المتوخاة من الحوار وبالتالي الصدام عوضا عن الحوار. أضف إلى ذلك ضرورة أن تتأصل مسألة جدا هامة، وهي الاعتراف المتبادل بين مختلف الشعوب والأمم والقوميات بالقانون الكوني المتمثل في التداول الحضاري، فالحضارة في الأصل هي إنسانية لا تفرق بين أمة و أمة ، أو بين شعب وآخر، فهي تحط لفترة زمنية شرقا وقد تحط لفترة أخرى غربا، لذلك فالقبول بهذا التداول الحضاري هو من أبرز شروط وضوابط الحوار الحضاري. بالإضافة إلى

وجوب اعتراف الشرق بدور الغرب في حضارته، كما يجب أن يعترف الغرب بدور الشرق في حضارته .

2- دور الأدب و الأدباء في التقارب الثقافي و الحضاري:

لقد ثبت عبر التاريخ أن الأدب يعد من أهم القنوات التي من شانها أن تمد جسور التقارب الحضاري والثقافي، وذلك باعتبار أن الأدب فكر إنساني جامح لا يعترف بالحدود السياسية أو الجغرافية أو الإثنية أو العرقية، فهو من أقوى القنوات التي تؤمن للبشر بمختلف توجهاتهم وإيديولوجياتهم التواصل الفكري الحر، الذي سيؤمن بدوره ـ إن استغل استغلالا إيجابيا ـ التقارب الحضاري و الثقافي بين الشعوب.

فالأدب باعتباره سفير الحضارة وواجهة ثقافة الشعوب، له الدور الأخطر في مسالة الحوار الحضاري والثقافي فبواسطته نتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى وبواسطته نكتشف الآخر دون أن نراه أو يكون بيننا وبينه أي اتصال مادي. ولقد ثبت تاريخيا وفي أكثر من مناسبة أن الآثار الأدبية ساهمت كثيرا في التقارب الحضاري ومحو بعض الصور النمطية التي كانت تتشكل عند الأمم بعضها حول بعض، إذ مثلا لا أحد ينكر الدور الذي لعبته قصص ألف ليلة و ليلة عند انتقالها للغرب، والتي كان يعود لها الفضل في الكثير من التغيير الذي حدث في الذهنية الغربية اتجاه الشرق، فعن طريقها استطاع الغرب أن يتخلى عن فكرة التعالي الكلاسيكي التي سادت قبلها والتي كانت تمايز بين الفكر الغربي والفكر الشرقي معتبرة أن الفكر الغربي يمتاز بالأفضلية، وأيضا كانت السبب في إزالة الصورة النمطية التي كانت مرسومة عند الغرب المسيحي على العرب والمسلمين عامة.

والمتتبع للتاريخ الأدبي يلحظ بما لا يدع مجالا للشك أن الأدب هو الذي أثبت قبل غيره أن الثقافات الإنسانية يكمل بعضها بعضا، ولا أدل على ذلك من الأعمال الأدبية المختلفة التي كانت دولة بين أدباء الإنسانية، والتي كان يؤثر بعضها في بعض. فعلى سبيل المثال لا الحصر رأينا كيف أثرت رسالة الغفران للمعري العربي المسلم في الكوميديا الإلهية لدانتي الغيري الغربي الإيطالي[7]، ورأينا كيف أثرت قصة حي بن يقضان في قصة روبنسون كروز للكاتب الأمريكي دانيال ديفو وعلى كرايسيان كاتب كتاب الناقد[8] ، و كيف أثرت ملحمتي هوميروس اليوناني الإلياذة والأوديسا، في ملحمة الإنياذة للروماني

فيرجيل، وكيف اثر هذا الأخير في الشاعر الإيطالي دانتي الغيري، وكيف كان تأثير ألف ليلة وليلة أو الليالي العربية كما سماها الإنجليز على غوتة الألماني، وعلى فولتير الفرنسي وعلى جيوفاني بوكاتشيو الإيطالي[9]، وعلى شكسبير الإنجليزي وعلى الكثير من الأدباء الغــرب، وبالمقابل كيف أثر سوفوكليس اليوناني في أندريه جيد الفرنسي و توفيق الحكيم المصري، وجملة هذه التأثيرات والتأثرات إنما تدل من جهة على أن الأدب والفكر والثقافة هي حالات إنسانية، ومن جهة أخري على أن الأدب قد لعب دورا خطيرا في التقارب الفكري والثقافي والحضاري وهو قادر على أن يلعب دورا أكبر في هذا المجال.

3- دور باولو كويلو في مجال التقارب الحضاري وحوار الثقافات

إن من أهم الكتاب والأدباء العالميين المعاصرين الذين ساهموا في التقارب الحضاري والثقافي، ولا زالوا يساهمون في ذلك حتى الآن هو الكاتب والأديب العالمي باولو كويلو، وهو روائي برازيلي ولد سنة 1947 في ريّو دي جانيرو بالبرازيل، وهو يشغل، حاليا، منصب مستشار خاص يعمل في إطار برنامج « تقـاربات الفكر وحوار الثقافات » لـدى منظمة الأونيسكو [10]، وهو يعتبر اليوم أحد أكبر وأهم الروائيين العالميين وأكثرهم انتشارا وشهرة. صنف على أنه كاتب فريد ومتميز في عالم الإبداع الأدبي الروائي الحديث، وظاهرة رائدة في عالم النشر حيث ذاع صيته ككاتب عالمي في كافة أرجاء العالم، وفي مدة زمنية قصيرة بالنظر إلى حداثة تجربته الأدبية التي لم يمض عليها أكثر من عشر سنوات تقريبا. و برغم قصر تلك المدة الزمنية، إلا أنه تخطى خلالها الكثير ممن سبقوه في ميدان كتابة فن الرواية سواء أكانوا من كتاب قارته (أمريكا اللاتينية)؛ مثل مواطنه الروائي البرازيلي المعروف(خورخي أمادو)، أم الكاتب الروائي الكولومبي الشهير (غابرييل غارسيا ماركيز)، أم غيرهم من الأدباء والكتاب العالميين الآخرين. [11]

وقد حظيت مؤلفاته بالكثير من الاهتمام لدى النقاد بسبب ما حوته من إبداع رائع، وطرح متميز للكثير من المسائل الفكرية والفلسفية ومعالجتها وفق أبجديات روحانية فريدة، وأهم تلك المؤلفات هي: حاج كومبوستيلا(1987)، الخيميائي(1989)، بريدا (1990)، الفالكيريس" فتيات فالكيري" (1992)، على نهر بييدرا هنالك جلست فبكيت (1994)، مكتوب (و هي مجموعة قصص وأشعار كانت قد نشرت في الصحف) 1994، إتمامه النصوص الجُمَلية (1995)، الجبل الخامس (1996)، دليل محاربي الضوء

(1997)، فيرونيكا تقرر أن تموت (1998)، الشيطان والآنسة بريم (2000)، قصص للآباء والأبناء والأحفاد " مجموعة من الحكايات الشعبية" (2001)، إحدى عشرة دقيقة (2003)، الزهير (2005)، كالنهر الجاري (2006)، ساحرة بورتوبيلو (2006)، الرابح وحيداً (2008).

وما يمكننا أن نشير إليه هو أن كل أعمال هذا الكاتب أو الغالب الأعم منها هي أعمال قائمة على التلاقح الحضاري والثقافي، الذي كان يصبغها ويسيطر عليها، بحيث تتعدى كونها مجرد روايات عادية كأي عمل روائي آخر إلى رسائل إنسانية موجهة لبلورة مفهوم التقارب الثقافي والحضاري بين الشعوب وداعية له، وهو ما أكسب هذه الأعمال شعبية منقطعة النظير عند مختلف شعوب الأرض و بمختلف مشاربها الفكرية والدينية والإيديولوجية، ولا أدل على ذلك من ترجمتها إلى العديد من اللغات، ومن مبيعاتها المهولة بحيث أن روايته (الخيميائي) ـ مثلا ـ التي صدرت في باريس والتي تعد جوهرة أعماله فقد بيعت حقوقها في أكثر من ستين لغة[12] وهي الرواية التي تجلت فيها الصورة الحقيقية لحوار الحضارات والثقافات بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكانت رسالة حقيقة موجهة لشعوب الأرض قاطبة .

وإذا أردنا أن نشير إلى أهم مظاهر تجلي الحوار الحضاري و الثقافي والدعوة إليه، سواء في ذهنية هذا الكاتب المتفتح على جميع حضارات العالم، وثقافات الشعوب، أو في مواضيع أعماله لوجدنا فيها الكثير، ولكن نقتصر على علاقته بالثقافة العربية الإسلامية، من جهة، وتجلي التقارب الثقافي والحضاري والدعوة اليه في عمله الروائي المتفرد رواية (الخميائي) كمثال على البعد الحضاري والتقارب الثقافي عند هذا الكاتب، من جهة أخرى.

أ : علاقته بالثقافة العربية الإسلامية :

لقد كانت لهذا الكاتب علاقة وثيقة بالثقافة العربية الإسلامية، فقد كانت بالنسبة له الرافد الأكثر أهمية في روافده الثقافية وذلك لما قدمته له من رؤية جديدة حضارية وثقافية للحياة، وبما وفرت له من فضاء أوسع للتفكير، وخيال خصب للإبداع. وذلك باعترافه، هو شخصيا، حيث قال عنها « ... وفي ما يتعلق بي كانت الثقافة العربية إلى جاني خلال معظم أيام حياتي تبين لي أمورا لم يستطع العالم الذي أعيش فيه، أن يفقه معناها... » [13]، وقد قال أيضا عندما سئل في مقابلة صحفية، عن مصدر كل ذلك الانجذاب إلى الحضارة

العربية، بالرغم من أنه أمريكي جنوبي، بأنه، أثناء طفولته كان مولعا بقصص ألف ليلة وليلة. بالرغم من أنه لم يكن يفهمها كلّية، ولكنه كان مسحورا بما تتضمّنه من رؤية إلى الواقع، وإلى الحياة، أيضا، وكان، كذلك، مولعا بقراءة بعض الكتب العربية التي كان ينشرها أحد الأساتذة البرازيليين هنالك بالبرازيل، والذي كان هو الآخر مولعا بالثقافة العربية إلى درجة انه سمى نفسه اسما عربيا وهو: (مالبا طحان)، وهي كتب كان لها بالغ الأثر في تشكيل اللحظات المهمة جدا في حياته الثقافية أثناء فترة المراهقة لأنها جعلته يكتشف أن الخيار مفتوح أمامه، دائما، لاكتساب معارف أخرى موجودة خارج تلك الثقافة الأمريكية الجنوبية، وبالتحديد الثقافة البرازيلية. وهكذا وقع في حب الثقافة العربية التي منحته، بحسب رأيه نظرة أخرى للحياة ومزيدا من الانفتاح؛ ذلك لأنها كانت ثقافة قريبة جدا من الصحراء، فهي تساعد على تبسيط الأمور من دون الوقوع في فخّ التسطيح. ويصرح أيضا بأنه منذ أن بدأ احتكاكه بالثقافة العربية بدأ الإلهام يأتيه بسهولة. فالثقافة العربية تقيم اعتبارا كبيرا للأمور الخفية ولكل ما هو غامض وسرّي. وهو المطلوب، بالضبط، له ككاتب يحتاج إلى مثل تلك الرؤية المخالفة، وإلى مثل ذلك الفضاء الواسع. [14].

ونجده كذلك يصرح في مقابلة صحفية، بتأثره بتلك الأبعاد والفسح الفكرية التي توفرها الثقافة العربية، فقد أجاب عندما سئل هل يكتسب الغامض أو السريّ الذي تُتيحه له الثقافة العربية دون غيرها معنى صوفيا بالنسبة إليه؟ قائلا: « أكثر من ذلك، إنه يحمل نظرة أخرى يصعب ترجمتها في كلمة وحيدة. لكنه شيء يشبه الثقافة اليابانية والثقافة اللاتينية الأمريكية مثلا. بعيدا عن الحواجز الثقافية، أنا أؤمن بوجود لغة رمزية تتيح لثقافات مختلفة أن تخلق جسورا تجعلها تتواصل فيما بينها. في كل مرة ألتقي الثقافة العربية، سواء كان ذلك عبر كتاب، شخص أو حدث، يزداد ولعي بها.» [15]

ب: تجلـــي التقارب الثقافي و الحضاري في رواية (الخيميائي)

إن ما مثلته الثقافة العربية الإسلامية للروائي باولو كويلو في بعدها الحضاري والثقافي وكذلك التأثير البالغ الأهمية الذي أحدثته على شخصيته، بحيث جعلته أكثر تفتحا على جل الثقافات الأخرى، هو الذي انعكس على إعماله الروائية وحاول ترجمته من خلالها ليجعل منه رسائل

ثقافية لكافة الشعوب وهو ما تبلور في جميع أعماله، وخاصة عمله الروائي المتفرد رواية الخيميائي، هذه الرواية التي كانت تعبر عن مجمع ثقافي حضاري إنساني ـ إن صح التعبير ـ لدرجة أن من يقرأها ولا يعرف كاتبها قد ينسبها إلى أي كاتب من أي قومية أو أي ثقافة نظرا لعدم ظهور أي خصوصية معينة قد تجعلنا ننسبها إلى كاتب له ثقافة معينة نظرا للتـــلاقح الثقافي الموجود فيها.

فلو نظرنا مثلا إلى ما حملته من سمات عربية لتبادر إلى الأذهان أنها رواية عربية وأن كاتبها، هو روائي عربي، لكونها قد ارتوت من مياه تلك الثقافة العربية الإسلامية بكل خصوصياتها، و أنها بحق، رواية عربية خالصة ذلك لأن منبعها الأساس كان من بيئة عربية، ومن ذهنية عربية، ومن طبائع عربية. لأن باولو كويلو قبل أن يبدأ في كتابتها، كان قد قام بمفرده بزيارة إلى القاهرة في أوائل الثمانينيات، وقضى فيها أسبوعين، التقى هنالك بشاب اسمه (حسان)، وطلب منه أن يكون مرشده في تلك الرحلة، فبدأ يقوده في مناطق داخل القاهرة، وإلى أماكن لم يسمع عنها من قبل. ففي اليوم الأول ذهب إلى منطقة الأهرام، فوجدها مزدحمة بالسياح، و بها عدد مهول من البشر الشيء الذي منعه من لمس جماليات المكان والتمتع بمنظرها المتفرد، فطلب من مرشده حسان أن يأخذه إلى الصحراء، فلبى المرشد طلبه، وذهبا بالجمال، وسارا في الصحراء مسافة طويلة حتى وصلا إلى تل عال، فوقف فوقه باولو كويلو، فشاهد الأهرام من أعالي تلك التلة وكان الوقت ليلا والسماء مقمرة، وكانت أشعة ضوء القمر تغمر المنطقة وخلف الأهرام كانت أنوار القاهرة تسطع وتتلألأ، لم يستطع باولو كويلو حينها أن يتحمل ذلك المنظر الساحر، فكاد أن يغشى عليه من سحر ذلك المنظر ورهبته، وشعر بحيرة كبيرة تعتري عقله، وباضطراب شامل يلف جسده، فقد كانت لحظة رهيبة في حياته، وكان كلما تذكرها ينتابه نفس الإحساس. لحظة زرعت فيه الإلهام، وحب الكتابة، وكانت مصدر روايته المشهورة (الخيميائي)، ذلك الإبداع العظيم، الذي ألفه مباشرة بعد العام التالي من رجوعه من القاهرة وصور فيها ذلك المشهد بتفاصيله [16].

وما يمكن الوقوف عليه في هذه الرواية، كذلك، هو تلك المسحة العربية التي شكلت منها شخصيات الرواية؛ فأهم الشخصيات الأساسية والفاعلة فيها سميت بأسماء عربية، ووسمت بسمات عربية، وطبعت بطبائع عربية، ومن أهم

تلك الشخصيات، شخصية (ملكي صادق)؛ وهو الذي كان يمثل في الرواية الحكيم العربي العجوز ملك مدينة (سالم)، وهو الذي يلتقي به بطل تلك الرواية الراعي الأندلسي(سانتياغو) الذي يطلب منه أن يعطيه عشر قطيعه من الغنم مقابل أن يعلمه كيف يبلغ مكان الكنز المخبأ، كذلك الفتاة العربية التي سماها باولو كويلو في الرواية:(فاطمة)؛ وهي التي مثلت الحب الكبير للبطل سانتياغو والتي كادت أن تكون بديلا عن الكنز، لما كانت تمثله من أهمية في قلب البطل أضف إلى ذلك شخصية التاجر المغربي الذي لم يذكر اسمه باولو كويلو في الرواية، ولكن وسمه بصفات متجذرة في الطبائع العربية الإسلامية وهي: (الكرم)، حيث أنه وضح لنا ذلك في المشهد الذي تعرض فيه البطل (سانتياغو) للسرقة في مدينة طنجة المغربية، وصار غريبا لا يملك شيئا، فعرض على ذلك التاجر المغربي صاحب محل بيع البلور أن ينظف له متجره مقابل طعامه، فقال له ذلك التاجر: « لم يكن من الضروري أن تنظف شيئا، إن القرآن يلزمنا بإطعام أي جائع. »[17]، كذلك شخصية (الخيميائي)؛ عارف الأسرار الذي يلتقي به بطل القصة (سانتياغو) ويتعرف عليه، ويتحدث معه طويلا.

وفضلا عن ذلك، نجد أن باولو كويلو قد اختار في هذه الرواية بلدانا، وأماكن عربية لتدور فيها أحداثها ؛ فجعل بعض الأحداث تدور في منطقة الأندلس هذه المنطقة التي اختار باولو كويلو أن يطلق عليها ذلك الاسم بالرغم أن الاسم الذي يطلق عليها اليوم هو أسبانيا، وهذا الاختيار بالتحديد ليس من قبيل الصدفة، بل له أبعاده ومراميه، ويحيل إلى دلالات التقارب الثقافي والحضاري، لكون أن تلك التسمية لا تمثل اسم منطقة فحسب بل إنها تدل على حقبة زمكانية معينة، يتمازج فيها التاريخ بالجغرافيا والحضارة والثقافة الغربية بالحضارة والثقافة العربية الإسلامية، كما أن اختياره لمدينة (طريف) لتكون موطنا للبطل (سانتياغو)، يعيش فيها حياته المعتادة كراع للأغنام لا يخلو من بصمة دعوة للتقارب الثقافي والحضاري، باعتبارها قرية ذات اسم عربي، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى (طريف بن مالك) القائد العربي المشهور الذي أرسل في مهمة استطلاعية تمهيدا لفتح الأندلس، وهي تقع على الساحل، وتعد من أقرب النقاط إلى الساحل المغربي. وجعل بعضها الآخر يدور في (طنجة) المدينة المغربية التي كانت المحطة الأولى للبطل في سفره، والتي وصل إليها عبر مضيق جبل طارق، و الأمر نفسه بأبعاده بالنسبة لـواحة

الفيوم بمصر، حيث يلتقي (سانتياغو) بالخيميائي عالم الأسرار، ويلتقي أيضا بفاطمة التي أحبها من أول نظرة وتعلق بها وعرض عليها الزواج .[18]

أما ما يحيلنا إحالة حقيقية إلى الدور الذي لعبه هذا الكاتب في التقارب الحضاري وحوار الثقافات من خلال أعماله، وخصوصا رواية الخيميائي فهي تلك العلاقات الإنسانية التي شكلها هذا الكاتب بين شخوص هذه الرواية والتي يريد أن يجعل منها دعوة للتقارب الثقافي والحضاري، فلو تتبعنا هذه العلاقة بين شخصيات هذه الرواية لوجدناها كلها تصب في هذا الاتجاه، فمثلا لو نظرنا إلى العلاقة بين سانتياغو بطل الرواية، والحكيم ملكي صادق والتي تضمنت نصح هذا الأخير للبطل وإعطائه النصيحة الخالصة وكأنه من أقرب الناس إليه، ويهمه شأنه أهمية بالغة، لوجدنا أنها في حقيقتها علاقة بين شخصين مختلفين حضارة وثقافة باعتبار أن الأول هو شاب اسباني والثاني شيخ عربي، كذلك العلاقة التي كانت بين البطل سانياغو والفتاة فاطمة، وهي علاقة الحب الكبيرة فقد كانت بين شاب اسباني وفتاة مصرية، كذلك الصداقة التي نشأت بين البطل سانتياغو، ومرافقه في القافلة الشخص الإنجليزي فهي علاقة بين راع اسباني ورحالة انجليزي، والعلاقة التي ربطت بين البطل سانتياغو، والتاجر المغربي والتي قامت على المعاملة الإنسانية تارة والتجارية تارة أخرى، وهكذا كانت طبيعة جميع العلاقات التي كانت تربط أبطال هذا الكاتب في أعماله الروائية، والتي تؤسس إلى العلاقات الإنسانية المختلطة التي ترقى بالعلاقات الى بعدها الحضاري الثقافي الإنساني متجاوزة بذلك القوميات و الجهات .

إن هذه البصمات والإحالات كلها تجعلنا نتيقن من الرسائل الموجهة والداعية للتقارب الحضاري والحوار الثقافي، ونتأكد تماما من أن رواية(الخيميائي)، وهي الرواية العالمية التي رقت بباولو كويلو إلى مصاف الكتاب العالميين، كانت رسالة حضارية ودعوة إنسانية للتقارب الحضاري وحوار الثقافات. وهو الأمر الذي اعترف به باولو كويلو، نفسه، حين قال عنها: « بالنسبة لي،" الخيميائي" كتاب عن الإسلام. أنا لا أدّعي بأني أعرف الإسلام بعمق لكني أعرف أن الثقافة العربية جلبت الكثير إلى العالم في ميادين الفن والعلم والفلسفة والطب.» [19]

الخـــــــــــاتمة :

إنه، وبالنظر إلى ما تطرقنا إليه، واستنادا إلى الأمثلة الكثيرة التي أوردناها عن دور الأدباء العالميين في التقارب الحضاري وحوار الثقافات، وخصوصا ما تعلق بالروائي البرازيلي العالمي باولو كويلو، يجدر بنا التأكيد على أن على الأدباء والكتاب والمفكرين في شتى أصقاع الأرض أن يقوموا بلعب الأدوار المهمة في التقارب الفكري والحضاري وحوار الثقافات باعتبارهم الأكثر تأهيلا للعب هذا الدور نظرا لطبيعة الأدب والفكر الذي سبق وأبرزنا الدور الخطير الذي يمثله، وذلك من خلال أعمالهم بمختلف أصنافها سواء أكانت أعمالا شعرية، أو روائية أو مسرحية، أو سينمائية، أو فنية ..، لأنه بواسطة هذه الأعمال بإمكاننا أن نكسر الحواجز الوهمية والمفتعلة في الكثير من الأحيان بين شعوب المعمورة، وأن نؤسس لعالم جديد يحكمه الاحترام المتبادل بين الأمم لمختلف الحضارات والثقافات والتسامح والعيش المشترك، والتعامل مع الاختلافات الحضارية والثقافية الطبيعية التي تميز بين الأمم والقوميات هي عنصر ايجابي يدعو إلى الاكتشافات المتبادلة، والثراء الحضاري الإنساني.

إحالات:

1- علي ابراهيم النملة ،صناعة الكراهية بين الثقافات ، و أثر الإستشراق في افتعالها ، دار الفكر ، دمشق ، 2008، ص7

2 - محمد دكروب ،حوار الحضارات و الثقافات ـ مقدمة عن التنوع الخلاق و مستقبل العالم ـ ، مجلة كتاب في جريدة ، العدد 101 ، بتاريخ 2007/01/03، ص 3

3 - محمد مسعد ياقوت ، حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام ، موقع ني الرحمة www.nabialrahma.com ،ص 5

4 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

5 - محمد سعد ياقوت ، مرجع سابق ، ص 6

6 - صمويل هنتنغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2 ، دار الفكر، فلسطين 1999 ، ص 68

7 - اسماعيل العـــربي ، نماذج من الأدب العالمي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986 ، الجزء الثالث ،ص 97

8 - عبد الأمير شمس الدين ، الفكر التربوي عند ابن طفيل ، دار اقرأ للنشر و التوزيع ، و الطباعة ، ط 1، بيروت لبنان 1984 ، ص18

9 - سهير القلماوي ، و محمود علي مكي ،أثر العرب و الإسلام في النهضة الأوروبية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1970 ، ص 119

10- أنظر موقع باولو كويلو، سيرته : www. paulocoelho. com/arab/index. html
11- بكـادي محمد ، أثر الفكر الديني في أعمال باولو كويلو ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت لبنان ، 2010 ، ص 21
12- المرجع نفسه ، ص 20
13 - باولو كويلو، الخيميائي، تر: جواد صيداوي، تدقيق لغوي: روحي طعمة، ط 5 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2005 ، ص 11
14- بكادي محمد ، مرجع سابق ، ص 46

قائمـــة المراجع

أولا : الكتـــب

1- اسماعيل العربي ، نماذج من الأدب العالمي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986 ، الجزء الثالث .
2- باولو كويلو، الخيميائي، تر: جواد صيداوي، تدقيق لغوي: روحي طعمة، ط 5 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2005 .
3- بكـادي محمد، أثر الفكر الديني في أعمال باولو كويلو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان ، 2010 .
4- سهير القلماوي، ومحمود علي مكي ،أثر العرب و الإسلام في النهضة الأوروبية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1970 .
5- عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل ، دار اقرأ للنشر والتوزيع ، و الطباعة، ط 1، بيروت لبنان 1984 .
6- علي ابراهيم النملة ،صناعة الكراهية بين الثقافات، وأثر الإستشراق في افتعالها ، دار الفكر، دمشق ، 2008.
7- صمويل هنتنغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2، دار الفكر، فلسطين 1999 ،

ثانيا : المقـالات ، و المقابلات

1- محمد دكروب ،حوار الحضارات والثقافات ـ مقدمة عن التنوع الخلاق ومستقبل العالم ـ ، مجلة كتاب في جريدة ، العدد 101 ، بتاريخ 2007/01/03
2- محمد مسعد ياقوت، حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام، موقع نبي الرحمة، www.nabialrahma.com، 43 صفحة.

3- مقابلة عمر طاهر، وأمل سرور مع باولو كويلو،نصف الدنيا، جمهورية مصر العربية، العدد 486 الصادر بتاريخ، 06 جوان 1999
4- مقابلة نجوى بركات مع باولو كويلو، موقع باولو كويلو: www. paulocoelho. com
موقع باولو كويلو، سيرته : www. paulocoelho. com/arab/index. html
5- 15 - نجـوى بركـات، مقابلـة صـحفية مـع بـاولو كويلو،موقـع: www. paulocoelho. com
6- 16- مقابلة عمر طاهر، وأمل سرور مع باولو كويلو،نصف الدنيا، جمهورية مصر العربية، العدد 486 الصادر بتاريخ، 06 جوان 1999 ، ص3- 5
7- 1717- باولو كويلو، مرجع سابق ، ص61
8- 18- بكادي محمد ، مرجع سابق ،45
9- 19 - نجـوى بركـات، مقابلـة صـحفية مـع بـاولو كويلو،موقـع: www. paulocoelho. com)